أفعال الكلام التعبيرية في رواية الفضيلة(دراسة تداولية تحليلية)

أ . سعاد إحميد عمر - كلية التربية ككلة - جامعة غريان

الملخّـــص:

تتناول هذه الورقة البحثية أفعال الكلام التعبيرية، عن طريق تتبع هذه الأفعال في الرواية تتبعًا استقرائيًا ناقصًا ، يفي بالوصول إلى الهدف الذي يرمي هذا البحث إلى تحقيقه ،وهو بيان أهمية ووظيفة هذه الأفعال في الرواية ، والأفعال التعبيرية هي واحدة من مجموعة الأفعال الكلامية التي لها غرضها الإنجازي في اللغة ،و تُعد نظرية (أفعال الكلام) من أهم النظريات في مجال اللسانيات البراماتية، وهي نظرية شغلت ولا تزال تشغل العلماء بمختلف تخصصاتهم من اللغويين مرورا بعلماء النفس والاجتماع والاتصال وغيرهم لأهميتها في تفسير اللغة.

الكلمات المفتاحية: نظرية أفعال الكلام ، أفعال التعبير، مبدأ التأدب، الأفعال التعبيرية في الرواية.

Abstract:

This research paper deals with expressive speech acts, by tracking these acts in the novel in an incomplete, inductive way, which satisfies the goal that this research aims to achieve, which is to explain the importance and function of these acts in the novel. Expressive acts are one of a group of speech acts that have their purpose. Achievement in language, and the theory of (speech acts) is one of the most important theories in the field of pragmatic linguistics, and it is a theory that has occupied and continues to occupy scholars in their various specializations, from linguists through psychologists, sociologists, communication, and others, due to its importance in interpreting language.

Keywords: theory of speech acts, acts of expression, the principle of politeness, expressive acts in the novel.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وخليله محمد بن عبدالله ،وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهداه إلى يوم الدين

أما بعد:

لقد تمكّن الإنسان بما وهبهُ الله له من جهاز نطقي ،وعقل يُميّزهُ عن سائر المخلوقات ،من الاهتداء إلى ألفاظ تصف المفاهيم اليومية في حياته ، يتفاهم ويتواصل بها مع بني جنسه ، ويُنجز بها أعماله ، بل وحتى يُعبّر بها عن مكنونات نفسه وخلجات شعوره،

وهذا يعني أن وظيفة اللغة ليست تواصلية نفعية فحسب، بل تعبيرية أيضا، ومن مُنطلق الوظيفة التعبيرية للغة تُحاول هذه الدراسة رصد أفعال الكلام التعبيرية في رواية الفضيلة للمنفلوطي، إذ تمتاز هذه الرواية بلُغة بليغة فصيحة، وأسلوب متسق وفريد ،جعل منها من أهم الروايات العربية المترجمة في العصر الحديث ، علاوةً على أنها تعكس الجانب السيكولوجي ، وتصور الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي تعيشه شُخوص الرواية ، بلغة انفعالية كثيفة وعالية ، فوقع الاختيار عليها لتكُون موضع البحث، الذي تمثّلت إشكاليتهُ في طرح التساؤلات الآتية:

- ما أفعال الكلام التعبيرية ؟وما أهميتها في تفسير اللغة؟
-ما علاقة هذه الأفعال بمبدأ التأدب في العملية التخاطبية؟
-ما القيمة الوظيفية التي قامت بها أفعال الكلام التعبيرية؟

ولأجل الإجابة عن تلك التساؤلات اتّبعتُ المنهج اللساني التداولي مُتخذةً من الوصف والتحليل طريقًا لتحقيق ذلك.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تأكيد ما صرّح به أوستين على أن وظيفة الجمل ليست منحصرة في الصدق أو الكذب فحسب؛ بل إن لها وظائف أخرى، فهي قادرة على الإنجاز و التغيير والتأثير.

هدف البحث:

هدف البحث هو السعي لإبراز الوظيفة الإنجازية لأفعال الكلام التعبيرية التي تعتري شخوص الرواية .

الدراسات السابقة: ثَمّة دراسات سابقة جعلت من رواية الفضيلة مادة لموضوعاتها ، ولكن على حد علمي ليس هناك دراسة تناولت أفعال الكلام عمومًا، و الأفعال التعبيرية خصوصًا في هذه الرواية.

خطة البحث:

تكونت خطة البحث من مقدمة وثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: نظرية أفعال الكلم ، والمبحث الثاني ــ الأفعال التعبيرية ومبدأ التأدب.

المبحث الثالث: أفعال الكلام التعبيرية في الرواية، ثم جاءت الخاتمة وبها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

نبذة عن الروايةة:

تُعد رواية الفضيلة من أبرز الروايات العربية المترجمة في العصر الحديث ،وهي رواية مترجمة عن الرواية الفرنسية(بول وفريجيني، لمؤلفها الفرنسي برناردين دي

سان بيير) ، و قد اتفق معظم الباحثون على أن ما يُميز هذه الرواية اللغة الفصيحة التي كتبت بها الرواية وجمال أسلوبها ، ربما ذلك راجع لعدم معرفته باللغة المترجم عنها المنفلوطي، فلم يكن عالما باللغة الفرنسية ولا مُتقنًا لها وإنما نُقلت له ، وقام هو بإعادتها بأسلوبه المميز والراقي لا أسلوب الراوي الأصلي [1]، صابًا فيها كل الألفاظ العذبة الرقيقة والمُرهفة على السمع، ولا عجب في ذلك ،فقد ذُكر أن المنفلوطي كان شغوفًا ومُولعًا بالأدب، فإلى جانب حفظه لكتاب الله و هو لم يتجاوز الحادية عشر من عمره، وكذلك تعلّمه تفسير القرآن ،فقد شرب من علوم البلاغة وغاص في بحر الأدب؛ مما أكسبه ذلك أسلوبا بليغا و رصينا، علاوةً على ما ضاقه من مرارة السجن الذي سرق من عمره غير يسير ،وكذلك العيش تحت وطأة الاحتلال الإنجليزي الذي كانت تقاسي ويلاته مصر العربية ، فلم يستطع النجاة من شعور البؤس واليأس والوجع[2] ،فجاءت كتاباته صادحةً حمائمُ البلاغة على أغصان سُطورها، مصافحةً أكف الأحزان حروفها، سالبةً قلوب القراء بحُسن أسلوبها[3].

وتدور أحداث الرواية حول سيدتين جمعهما القدر على جزيرة نائية، إحدى السيدتين تُدعى(هيلين)،كانت قد جاءت مع زوجها الذي لقي حتفه في جزيرة أخرى، كان قد ذهب إليها لاجتلاب بعض الزنوج لمساعدته في حراثة الأرض وزراعتها، فتركها وحيدةً تُجابه الأيام مع طفلتها، والأخرى(مرغريت)، وفدت على هذه الجزيرة لتتوارى عن قومها وتختبئ بعارها في مكان لا تعرف فيه ولا يعرفها أحد؛ فسبحان من جمعهما لتكونا كالأختين تسند إحداهما الأخرى، وتعيشان في سعادة وإطمئنان ،ليكبر أبناؤهما ويُولد الحب العُذري بينهما؛أي بين (بول وفريجيني) ؛ أبطال هذه الرواية ، ولكن تنتهي القصة بموتهما ،وموت الشيخ العجوز الذي كان يرعى أحوالهما وأحوال والدتيهما و الذي سُردت القصة على لسانه [4] ، وبالرغم من أن المنفلوطي لم يقرأ الرواية الأصلية وأعاد صياغتها بأسلوبه الفريد والخاص، إلا أنه لم يُغيّر في أحداثها ولا شخصياتها ، ولا حتى أسماء تلك الشخصيات مطلقًا ،اللّهم إن التغيير طال العنوان ، ما عدا ذلك فإن مُجريات الرواية والأماكن والنهاية التي تُطوى على موت بول وفريجيني، وأخيرًا الشيخ العجوز فبقيت كما هي عليه تماما كالرواية الأصل[5].

المبحث الأول ـ نظرية أفعال الكلام:

لقد وصف الفيلسوف (أوستين) الافتراض التقليدي من قبل الفلاسفة ،و الذي مفادهُ أن الكلام إمّا يحتمل الصدق أو الكذب وصفهُ بـ(الوهم)،فبعد إعادة النظر والتقليب تبين له أن بعض الكلام ليس بالضرورة أنه يصف شيئًا أو يُخبر به؛ فيحكم عليه

بالصدق إن كان موافقا للواقع وبالكذب إن كان عكس ذلك، وإنما بعض الكلام يكون إنجازيًا أو إنشائيًا كما أسماه؛ أي أنه يُنجز شيئا حتى لو كانت هيئته إخباريًا[6] ؛ ليُؤسس بذلك لما يُعرف بنظرية (أفعال الكلام)، والمقصود بالأفعال الكلامية أو الفعل الكلامي[7] : نُطق الفرد بأقوال لها أغراض إنجازية متنوعة ومتعددة ،كالأمر ،والنهي والاستفهام، والوعد وغيرها ،حيث يتوسل الناطق من ورائها تحقيق غايات وأهداف محددة في سياقات معينة.

ويُصرّح أوستين أن الحكم على الجمل في الكلام بأنها إنجازية لا بد أن يكون موافقًا لشروط تُعرف بشروط الملائمة، و من أبرز نقاطها[8]:

- أن تكون الجمل المنجزة في ظروف مناسبة مخصوصة ؛ بمعنى أن المتكلم قادر على الإنجاز ، وأن السامع مشارك مع المتكلم حتى يحصل التوفيق للجمل المنجزة ، ولا يتأتى ذلك إلا وفق معايير المجتمع ،والمعرفة اللغوية للمشاركين في عملية التخاطب.

و لأجل ما سبق ميّز أوستين بين نوعين من الأفعال في اللغة أحدها: الإخبارية وهي التي يحكم عليها بالصدق أو الكذب ، والأخرى الأدائية أو الإنجازية ،لكن هذا التمييز سرعان ما يتلاشي ويذوب عند التطبيق ؛ فهناك أفعال إخبارية لكنها تقوم بوظيفة الأفعال الأدائية ، وذلك ما سنلاحظه أثناء تحليلنا لفعل التعبير في الرواية، فقد جاءت الأفعال بصيغة الإخبار ولكنها تقوم بوظيفة إنجازيه، وليست مما يحكم عليها بالصدق أو الكذب ؛ ولأجل هذا السبب جعل أوستين للفعل الكلامي المنجز ثلاثة وجوه أو أنواع هي منفصلة من حيث التقسيم لكنها جميعا متجسدة في الفعل الكلامي ،وهي[9]:

فعل التلفظ : يقصد به النطق الصوتي للألفاظ.

فعل الإنجازي : يقصد منه ما يؤديه فعل التلفظ من إنجاز.

فعل التأثير: وهو الأثر الذي يحدثه فعل الإنجاز.

و قد حظي (الفعل الإنجازي) من قبل أوستين والعلماء من بعده بكثير عناية واهتمام ، إذ لا ينعقد الكلام بدونه ،فهو يلازم الأفعال جميعا ، بعكس التأثيري الذي لا يلازمها جميعا ، فبعض الأفعال لا تأثير له حسب أوستين ، و على أساسه(أي الفعل الإنجازي) قسّم أفعال الكلام إلى خمسة أقسام، وإن لم يكن راضيا عنها تمام الرضا[10] : (أفعال الأحكام ، القرارات ، التعهد ، السلوكيات ، الإيضاح) .

جاء سيرل من بعده وحاول ضبط وتصحيح وتدراك ما كان من قصور ونقص وخلل في منهج أوستين من أجل الخروج بنظرية محكمة وأكثر ضبطًا ،و سنذكر أبرز ما جاء به في الآتي[11] :

قام بتطوير شروط الملائمة وجعلها أربعة وهي:

المحتوي القضوي ، ويقصد به المعنى الأصلي للقضية.
الشرط التمهيدي، ويقصد به أن المتكلم قادر على الإنجاز.
شرط الإخلاص، ومعناه أن المتكلم مخلص في أداء الفعل.
الأساسي ، والمقصود به أن المتكلم يحاول التأثير في السامع لينجز الفعل.
ثم أعاد تصنيف أفعال الكلام بناء على أسس منهجية ليصنف من خلالها أفعال الكلام و هي:
(الغرض الإنجازي ،اتجاه المطابقة ، شرط الإخلاص)[12].
فجاءت أفعال الكلام عنده كالآتي[13]:
1-الإخباريات:في هذه الأفعال يصف المتكلم واقعة معينة ، ويحكم على أفعال هذا الصنف بالصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم.
2-التوجيهيات:في هذا الصنف فإن المتكلم يقوم يتوجيه طلب أو أمر للسامع ، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص هو الرغبة الصادقة من قبل المتكلم ليجعل السامع ينفذ فعل التوجيه.
3-الإلتزامات:في هذا الصنف يقوم المتكلم بإلزام نفسه بفعل ما، وعليه فإن اتجاه المطابقة هو من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد والرغبة في الالتزام
4-التعبيرات:يسعى المتكلم في هذا الصنف إلى التعبير عن موقف نفسي ، ويعبر فيه عن حالاته النفسية، وفي التعبيرات ليس على المتكلم جعل العالم يطابق كلماته ولا الكلمات تطابق العالم فاتجاه المطابقة فارغ فيها، وإنما شرطها الإخلاص في التعبير.
5-الإعلانيات:يهدف المتكلم من خلال أفعال هذا الصنف إلى تغير الوضع بمجرد النطق بها، ويتمثل نجاحها في مطابقة محتواها القضوي العالم ، ولذلك اتجاه المطابقة هنا من الكلمات إلى العالم، وليس ضروريا شرط الإخلاص فيها.
كما استطاع سيرل التفريق بين نوعين من الأفعال الإنجازية، أفعال إنجازية مباشرة وهذا النوع تتوافق فيه قوة المنطوق الإنجازية مع الغرض الإنجازي للمتكلم، وأفعال إنجازية غير مباشرة تخالف قوتها الإنجازية غرض المتكلم ومراده[14] ،وتحديد قصد المتكلم وغرضه الإنجازي خاصة في الأفعال غير المباشرة أمر موكول للسياق، فالسياق هو الكاشف عن المعنى من بين مجموع المعاني التي يمكن أن تشير إليها الأفعال الكلامية، فالسياق هو أجزاء الكلمة نفسها من معناها المعجمي وأصواتها وموقعها في التركيب إلى الأجزاء التي تحفها في المقطع الكلامي ،وكذلك مجموعة الظروف التي تحيط بالخطاب ككل من معرفة المتكلم وظروفه وما إلى ذلك[15].

وقد اهتم العلماء قديما وحديثا بالسياق كونه أبرز العوامل التي يعول عليها في فهم الخطابات، و قد مهدت فكرة السياق عند عالم الأنثربولوجيا مالينوفسكي لظهور نظرية السياق التي حاول تأطيرها وضبطها ووضع منهجية لها عالم اللغة فيرث[16] ؛ ليصبح السياق في مجال اللسانيات من الأدوات اللازمة والمهمة في تحليل الخطابات وتفسيرها وعلى محلل الخطاب أخذه بعين الاعتبار وعدم إغفاله كما نبّه على ذلك براون ويول[17].

هذا ومن أبرز الاختلافات بين أوستين وسيرل أو بالأحرى ما يختلف فيه سيرل عن أوستين هو أن أوستين يرى أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم ،فيما يرى سيرل أنها تفسير المستمع واستجابته ، كما أنه يميز بين ما يعرف بالقوة الإنجازية وما يسمى بالغرض الإنجازي للمنطوق اللغوي ،وكلاهما القوة والغرض يعتمد تفسيرهما على المنطوق اللغوي في ذاته وفهم الشبكة الاجتماعية ، فيعد سيرل القوة جزءا من الغرض الإنجازي ،ومعنى ذلك أن الغرض الإنجازي من الطلب مثلا عن طريق الالتماس أو التمني هو واحد ، لكن القوة الإنجازية هي التي تختلف فالطريق غير المباشر للطلب عبر الالتماس مثلا أقوى من الطلب المباشر في مواقف معينة ، بينما يكون الطلب المباشر أشد قوة في مواقف تواصلية أخرى[18] ، ويمكن لنا أن نصف درجة القوة بالشدة والضعف، وهذه الشدة والضعف غير مختصة بأفعال مباشرة أو غير مباشرة ، بطلب أو إخبار أو إعلان ، وإنما قوتها وضعفها في تراوح حسب السياق ، و القوة والغرض يعتمدان على المتكلم بوصفه متحدثا مراعيا لقواعد اللغة وظروف المقام عند مستمع يفهم اللغة و يبني فهمه وفقا لقواعدها مع عدم إغفاله معرفة أحوال المتحدث النفسية ومكانته الاجتماعية فيوفق بين المنطوق اللغوي والسياق الكلي المحيط بالعملية التخاطبية فيلاءم ذلك القوة والغرض الإنجاز بين اللذين سعى المتحدث لتحقيقهما من الاتصال والتواصل اللغوي[19]،وهما معا أي القوة والغرض موصلان للغاية التي يتوخاها المتحدث وهي التأثير في السامع أو القارئ، و أعتقد أن للفعل التأثيري قوة تأثيرية كما للفعل الإنجازي قوة إنجازية ، تتراوح هي الأخرى بين الشدة والضعف ،وما تلك القوة الإنجازية التي يحملها المنطوق اللغوي في الفعل الكلامي إلا لتؤثر في السامع أو لتحمله على الإقناع والتأثير بفعل الأشياء ليتحقق الإنجاز الحقيقي لتلك الأفعال.

المبحث الثاني ـ أفعال التعبير ومبدأ التأدب :

تُعد الأفعال التعبيرية إحدى الأفعال الكلامية التي لا نخلو منها أية لغة ، وُصفت بالتعبيرية أو السلوكية بناءً على غرضها الإنجازي في اللغة ، فهي أفعال كما وصفها سيرل تعبر عن مشاعر المتكلم/الكاتب ، وهي تختلف عن الأفعال الكلامية الأخرى

كالتوجيهية مثلا ، فأفعال التعبير لا يوجد بها اتجاه مطابقة بينها وبين العالم ، وإنمّا شرطها هو الإخلاص فحسب؛ أي إخلاص المتكلم/الكاتب في التعبير عن الحالات النفسية[20]، وهي تنقسم إلى قسمين : تعبيرات اجتماعية تتصل بوجدان المتكلم مع مشاركة المتلقي، وتعبيرات نفسية تتصل بوجدان المتكلم وليس بالضرورة مشاركة المتقي[21].

ويرى (جرين) أن السمة المميزة لهذا النوع من الأفعال(التعبيرية)هي أنها مصممة لتوفر أدلة تمكننا من معرفة افتراضية للحالات النفسية للمتحدثين[22] ، بمعنى آخر إن المعنى الذي توصله هذه الأفعال اللغوية هي إيصال رسالة واضحة للسامع أو مجموعة السامعين بأن هناك عاطفة وشعور موجودين لدى المتحدث، فللغة دورها المحوري في توضيح وإيصال تلك المشاعر ،وبالتأكيد أن اللغة (المنطوقة أو المكتوبة) ليست هي وحدها القادرة على فعل ذلك، فهناك طرقا أخرى للتعبير عن العواطف
كلغة الجسد بأن يظهر على الغاضب مثلا علامات على الوجه كتقطيب حاجبيه ، أو ربما نبرة الصوت أثناء الكلام حتى ولو كانت الجملة أو الجمل خالية من الألفاظ التي تعبر عن المشاعر المختلفة[23]

ويذكرُ الباحثون أن الأفعال التعبيرية عادة ما تكون مدفوعة بدوافع اجتماعية في استخدامها ، إذ تتوخى النظام الاجتماعي والأيدولوجي الذي يختلف من مجتمع لآخر، و ذلك أثناء التهنئة أو التعزية مثلا ؛، إذ يحتم الحوار في العملية التخطابية الإلتزام بمبدأ (كن مؤدبا)، لذلك جعل (جيفري ليتش)هذه الأفعال ضمن صنف المناسبات في مبدأه للتأدب[24]، ومبدأ التأدب مبدأ اقترحه (ليتش) يعني به أن المرء يسعى للتقليل من التعبيرات غير المؤدبة إلى أقصى حد ،في مقابل التكثير من التعبيرات المؤدبة إلى أعلى حد،ويعد هذا المبدأ مكمل لمبدأ التعاون لـ(غرايس)، فقد صرّح (ليتش) أن مبدأ التعاون منحسرًا دوره في تنظيم التواصل والوقوف على مستوى التبليغ ، فجاء هذا المبدأ ليتدراك القصور في مبدأ التعاون، مع تنبيهه أن المبدأن يتضافران معًا في العملية التخاطبية، وقد كانت(لاكوف) قد اقترحت هذا المبدأ بوصفه سببا واقعيا يكمن خلف الاستعمال اللغوي للمتكلم لأفعال الكلام غير المباشرة[25].

ومبدأ التأدب يهدف إلى مراعاة شعور الآخرين وإنشاء مستوى من الراحة المتبادلة مع الطرف الشريك أو الأطراف المشاركة في التواصل اللغوي، حيث يراعي المتكلم والمخاطب -على حد سواء -الظروف الاجتماعية ،و الأعراف المجتمعية لكليهما ،وبما أنه يعزز العلاقة الاجتماعية بين المشاركين فإن ذلك يتطلب استخدامًا مكثفا من قبل المتكلم لتعبيرات المدح والثناء والإطراء والمجاملة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر

في مختلف الممارسات الاجتماعية ، حتى أثناء الأفعال الطلبية ،يسعى المتكلم إلى الطلب بتغليف طلبه بتعبيرات الأدب سعيًا للحفاظ على ماء الوجه ؛ لذلك كان لأفعال التعبير مكانتها المهمة في تصنيف (ليتش) لأفعال الكلام على أساس مبدأ التأدب ،والتي كان قد اقترحها بديلا عن تصنيف(سيرل)لأفعال الكلام[26]

المبحث الثالث ـ الأفعال التعبيرية في الرواية :

فرّق الباحثون بين نوعين من الأفعال التعبيرية ، و هما مشاعر أفعال تعبيرية ذات قيمة سلبية ، وأخرى إيجابية ، فالمشاعر الإيجابية من نحو[27]:

(الشكر ، المدح ، التهنئة ، الإطراء ونحوها)

أمّا السلبية فهي من نحو:

(النقد، الشتم ، الإهانة ، التعزية وغيرها).

وبناءً على القيمة(سلبًا ،أو إيجابًا) للمشاعر أو العواطف والحالات النفسية، أنشأ (نوريك) تخطيطا يحتوي على تسعة أنواع مختلفة من الأفعال التعبيرية من أبرزها[28]:

1-الاعتذار: تعبر الأفعال الكلامية التي تدل على الاعتذار من نحو: أسف، أعتذر، متأسف، على الشعور السلبي في نفس المعتذر تجاه المخاطب ،الذي يشعر هو الآخر بشعور سلبي نتيجة لشتم أو إهانة الأول له..

2-الشكر: شعور إيجابي تجاه الآخرين ،ينتج أثناء تسدية أحدهم خدمة للمتحدث و نحو ذلك، عادة الأفعال من نحو: شكر، امتن ونحوهما، تصدرُ من المتكلم أثناء شعوره بالحاجة إلى شكر الآخرين.

3-التعزية: هي شعور سلبي ينشأ ويتشكل بسبب حدث سلبيا ، أثناء الحزن والألم لموت أحدهم ، فيقوم المعزون بتعزية الفقيد عما فقد، وفي الإسلام عادة ما تكون عبارة التعزية : عظّم الله أجرك..

الاستنكار: هو شعور سلبي قد تركه الآخرين في نفس المتكلم..

4ـ الرثاء: شعور سلبي يشعر به المتكلم فيرثي نفسه إما لسوء حظه ، أو يرثي عزيزا افتقده..

5- الترحيب: شعور إيجابي تجاه الآخرين ، وتعبر عنه كلمات من نحو : أهلا بكم ونحوها.

6ـ التسامح: شعور إيجابي من لدن المتكلم بأنه متسامح مع المخاطب ـ ولا يضّجر منه ، ولا يبغضه..

7- التباهي : شعور سلبي يصدر عن المتكلم ، بأن يتباهى أو يفخر بشيء لديه على الآخرين..7-

والحقيقة أن المشاعر والعواطف الإنسانية كثيرة جدا أكثر من أن تحصر في التخطيط السابق ، فهناك شعور الغضب ، والفزع والخوف، والحسرة وغيرها الكثير مما يعتري النفس البشرية من مختلف العوارض التي تصادفها أثناء الحياة ، والذي يمكن الركون إليه هو القيمة التي تدل على الشعور أهي سلبية أو إيجابية.

و المشاعر المتنوعة من حزن، وفرح، وخوف ،وغيرها ، هي مكون مهم من مكونات حياتنا اليومية ،إذ هي الجانب الذاتي لأي انفعال ،وهذا الجانب موجود داخل الخبرات الخاصة بكل منا[29].

و لن نتعرض لجميع المشاعر الإيجابية والسلبية ، ولن نتتبع كل الأفعال التعبيرية في الرواية وهي كثيرة، وإنمّا سنكتفي بعرض وتحليل أربعة نماذج مختارة تحتوي على أبرز الانفعالات الإيجابية والسلبية ؛وذلك بسبب ضيق المقام .

و من أمثلة الأفعال التعبيرية في الرواية ما يلي:

الفعل التعبيري	القوة الإنجازية	الغرض الإنجازي
بكت إلى ماشاء الله لها أن تفعل ،ثم عادت إلى منزلها دامية العين قريحة القلب.	**فعل تعبيري مباشر ،تمثلت قوته الإنجازية في الإخبار.**	**بيان حالة الحزن والقهر التي تمر و تشعر بها مرغريت.**
هذا جزاء تمردك وعصيانك وخروجك عن أهلك وقومك، حتى جلبت على نفسك و على أهلك العار الذي لا يمحي، لقد أحسنت كل الإحسان بمغادرتك هذه البلاد وفرارك إلى تلك الجزيرة.	**فعل تعبيري مباشر تمثلت قوته الإنجازية باستخدام أسلوب الخبر مستعملا اسم الإشارة مع المصادر الصريحة.**	**التوبيخ والشتم والإهانة.**
متى تخلنا الله عنا ياهيلين فنلجأ إلى الناس في شؤوننا؟!.	**فعل تعبيري غير مباشر ، جاءت قوته الإنجازية عبر الأسلوب الإنشائي مستعملا الاستفهام.**	**إظهار المنة والامتنان .**
الموت أهون علي من أن أعود إليه.	**فعل تعبيري غير مباشر تمثلت قوته في أسلوب الخبر، وباستعمال صيغة التفضيل.**	**إظهار الخوف والضعف وإبراز شر السيد المالك لها.**

التحليل:

1-الفعل التعبيري : بكت إلى ما شاء الله لها أن تفعل ،ثم عادت إلى منزلها دامية العين قريحة القلب)[30]، ورد الفعل التعبيري صريحا ومباشرا في قول المنفلوطي : (بكت) ، والبكاء فعل ناتج عن الشعور بالحزن والوجع ،و الحزن وما يتبعه من انفعالات نفسية من المشاعر السلبية التي يمقتها المرء، والحزن إن لم يجد الدموع سبيلا ومتنفسا للخروج، فإنه قد يتجه إلى أعضاء الجسم ويدميها ويعمل على تحطيمها[31].

ويأخذ الحزن شكل الأسى والتحسر رغم أن الأسى يتضمن أكثر من الحزن، فقد يتضمن الغضب والامتعاض والاشمئزاز واليأس والاحتقار، فهو مزيج من كل تلك الانفعالات النفسية التي تتفاوت من وقت للآخر وتختلف من فرد لآخر[32].

لقد عاشت مرغريت الحزن وما يصحبه من أسى وأسف وحسرة من الخذلان الذي جنته فيمن توسمت فيه الخير والشهامة ونبل الأخلاق، فمشهد البكاء جاء بعد ذهابها خلفه علها تدركه بعدما سمعت بمغادرته على السفينة ، لتجده قد رحل فلم تواسها إلا الدموع ؛كي تعبر عن وجعها و وتخفف من وطأة الحزن القابع في قلبها،و يتجسد الفعل التعبيري أيضا في التركيبين الإضافيين 8

في قول الشيخ : (دامية العين قريحة القلب)، ليصوّر الحزن والوجع الناتجين عن الخذلان والخديعة ،اللذين عادت بهما إلى المنزل ، فقوة الفعل التعبيري جاءت بصيغة الإخبار بالأفعال الماضية(بكت، عادت)،وغرضها الإنجازي هو تعريف السامع/القارئ بالحزن والحسرة اللذان قاستهما مرغريت.

2-(هذا جزاء تمردك وعصيانك وخروجك عن أهلك وقومك، حتى جلبت على نفسك و على أهلك العار الذي لا يمحي، لقد أحسنت كل الإحسان بمغادرتك هذه البلاد وفرارك إلى تلك الجزيرة)[33]

لقد جاءت الأفعال السابقة لتُعبّر عن اللوم والتوبيخ والإهانة والخزي بأفعال تعبيرية مباشرة وغير مباشرة ، فالتعبير بالقوة الإنجازية بالمصدر الصريح (جزاء) والمصادر التي تلته مضاف إليها ضمير الخطاب(الكاف)،لغرض إنجازي هو تذكيرها بالعقاب الذي تستحقه ونتائج جريرتها بنفسها و بأهلها وتوبيخها على عدم الحفاظ على نفسها والانجرار وراء قلبها دون تحكيم عقلها وصل بها لما هي عليه الآن، فالحرف (حتى) يفيد غاية الأمر ومنتهاه[34]؛أي ما وصلته وهو العار، ذلك أنها لم تكبح نفسها أو تتوقف عن الانقياد وراء قلبها إلى غاية أن وصل بها الحال إلى (العار) والجار والمجرور(على أهلها) يدل على أن العار لم يطلها وحدها بل لحق حتى بأهلها، و التركيب لا النافية مع الفعل المضارع في قولها : (لا يمحى)، ففيه دلالة على انتفاء محو العار ؛بمعنى أن العار سيظل لصيقًا بهما (أي بها وبأهلها) إلى الأبد، ذلك أن الخزي شعور سلبي ،و يُعد أفضع وأبشع المشاعر السلبية التي تعتري المرء ،و يرجع ذلك إلى السبب الذي نشأ منه هذا الشعور، كأن ينتهك الفرد قانونًا أو عُرفًا اجتماعيًا لا يجوز المساس به، فهو يتعلق بمعتقدات الفرد وبذاته ككل ،فإذا فعل شيئا مخزيًا ،فإن شعور الخزي يتولد لديه ولا يفارقه في الأغلب طول حياته ، ويظل باقيًا معه حتى مماته، ذلك أنه غير قابل للإصلاح، وحتى لو كان قابلاً فإن ذلك يستغرق زمنًا طويلاً[35] ؛ بل أحيانا إن الزمن لا

يعد كفيلاً للتخلص منه؛ يظل يشعر بالذنب ويلوم نفسه ، بل قد يلومه الأفراد على فعلته مما يعمق فجوة الكآبة لديه، و الذنب واللوم والإذلال من المشاعر النفسية التي تصاحب الخزي ،فالذنب شعور بالإثم يبقى مع الفرد يلوم نفسه ويوبخها بشدة دون تسامح، كما أن الإذلال شعور انفعالي سلبي يتعرض له المرء نتيجة إهانته ولومه وتوبيخه والتشنيع عليه؛ لذلك كان الخزي أسوأ المشاعر النفسية و أشدها ألما على الفرد[36] ،وذلك ما نجده في رسالة العمة التي بعثت بها إلى هيلين، و طفقت توبخها وتلومها وتذكرها بالعار والفضيحة التي تسببت بهما ،وتشعرها بالذنب، ولم يشفع لها مغادرتها، وعيشها بعيدًا عن أهلها تكابد الحياة القاسية ، ولا اعتذارها ورجاؤها ودموعها التي سكبتها حبرًا في رسالتها التي بعثت بها إليها قبل تلقيها جواب العمة والتي تقول فيها : (إن كنت ترين أني لا أزال مذنبة بعد ذلك ، وأن تلك الدموع السّخية التي رويت بها ثرى الأرض اثنى عشر عاما لا تكفي لمحو زلتي من صحيفة أعمالي فارحمي هذه الفتاة المسكينة من أجلها لا من أجلي فهي حفيدة أخيك وعصن دوحتك والبقية من أسرتك)[37].

فلومها نفسها وعذابها طوال تلك السنين لم يشفع لها عند العمة لزواجها من ذلك الفقير المُعدم الذي لا يليق بعائلتهم ،بل لم يكن كفيلاً لمحو العار الذي جلبته ،و لم يكن كافيًا أيضا حتى للمغفرة التي طلبتها، والفعل الماضي (أحسنت) فعل تعبيري مباشر اتفقت قوته الإنجازية مع غرضه الإنجازي ؛أي فعلت ما هو حسن[38]،و لفظ التوكيد المعنوي(كل) الذي يعني الإحاطة

والشمول[39] ،المضاف إلى المصدر الصريح (الإحسان) يفيد الإحاطة والشمول بكل أنواع الإحسان ، والمصدر الصريح

(الإحسان) هنا جاء ليراد منه الحدث وحده دون إرادة صاحبة[40] ،أي جمعت كل فضائل الإحسان في ما فعلت ، ولا يراد

مدحها ولا مدح أخلاقها ، بل المراد الحدث وهو فعل المغادرة بلملمة عارها ومغادرة البلاد إلى تلك الجزيرة النائية.

3- (متى تخلنا الله عنا ياهيلين فنلجأ إلى الناس في شؤوننا)[41].

الفعل التعبيري هنا جاء على صيغة أسلوب الإنشاء الطلبي بقوة الإستفهام وهو فعل غير مباشر ،فإن كانت قوته الإنجازية الاستفهام إلا أن غرضه ليس استفهاما يطلب فيه تعيين الوقت ، بل إن غرضه الإنجازي هنا التذكير وإظهار المنة والامتنان ، والسياق اللغوي للرواية هو من كشف عن حقيقة هذا الاستفهام وغرضه، فبعد عودة هيلين من حاكم الجزيرة الذي استلمت الكتاب منه؛ أي رسالة العمة، وبعد قراء تها لها عادت تجر أذيال الخيبة والوجع ،تسيل الدموع من عينيها ، فاهتمت مرغريت لأمرها و سألتها عن

حالها هذا الذي يرثى له، فقصت عليها كيف تفكر في مستقبل ابنتها، وكيف وصل بها الأمر لترجي عمتها في رسائلها التي قد بعثت بها إليها وجواب العمة على تلك الرسائل[42] ، فما كان من مرغريت إلا مُواساة صديقتها و أختها التي لم تلدها أمها في محاولة منها للتخفيف عن صديقتها وما تجده من حزن ووجع ، فذكرتها بأن الله لم يتخل عنا فيما سبق حتى تخافي من المستقبل وهو معنا ، مع نوع من التوبيخ اللطيف في قولها : (فنلجأ)؛أي كيف تلجئين للناس والله أغنانا من فضله وشملنا برحمته!، فالأولى الطلب منه لا من غيره، والامتنان مصدر امتن ؛معناه الاعتراف بالجميل وهو عكس الجحود ؛أي أنا معترف بالجميل شاكر للفضل[43] .

4-الفعل التعبيري : (الموت أهون علي من أن أعود إليه[44]).

فعل تعبيري غير مباشر قوته الإنجازية جاءت على صيغة الخبر ،غرضه الإنجازي إظهار شدة الخوف والجزع بغية الحصول على استرحام واستعطاف فريجيني ،فالفعل التعبيري يشير إلى حالة الخوف والرعب والفزع الذي تعيشه الجارية حتى وصل بها الأمر لتفضيل الموت ،و يعد الخوف شعور طبيعي ينتج عن خطر حقيقي أو متوقع يدركه العقل الواعي[45]، وهو يمثل محنة بالنسبة للفرد وأكثر ما يكون وضوحا عند مواجهة المخاوف ماديا، كأن يواجه الفرد حيوانا مفترسا أمامه، ويكون أقل عندما يكون هناك مخاوف غير محددة المعالم كالخوف من المستقبل أو الخوف من الفشل والإخفاق، كل ذلك وأشباهه يثير الانفعالات داخل الفرد من نحو الاضطراب والقلق ،وشعور القلق من أبرز وأوضح الانفعالات المصاحبة للخوف، فهو ينشأ منه، والقلق شعور بالتوجس من المستقبل ،فهو حالة غير مريحة يشعر معها الفرد بتوقع حدوث سوء ،لكنه عكس الخوف في كونه ينشأ من توقع مستقبلا ولم يحدث بعد[46]، ولقد عاشت الجارية شعوري الخوف والقلق معا، ففي أثناء هروبها وتواجدها بين الأحراش في الغابة كان شعور الخوف والقلق يسيطران عليها، فتشعر بالرعب وتتوجس خيفة من عثور الصيادين عليها وإرجاعها إلى سيدها ، والرعب والخوف اللذين ينتظرانها عند رجوعها من ضرب وجلد وتجويع و ربما القتل عقابا لها على تمردها[47]، لذلك عبّرت الجارية بلفظة (الموت) لتشير إلى فضاعة الهول الذي تلاقيه من سيدها ما يجعلها تفضله على المُثول بين يديه مجدداً ، حيث جاءت بعدها صيغة التفضيل(أهون) دالة على تفضيل و اختيار الموت على العودة لمولاها؛ ولكن الموت أيضا يمثل لها رعبا هو الآخر ، فلم تكن شجاعة بما يكفي حتى تنتحر رغم أنها وجدت في الموت حلاً يريحها من هذا العناء والشقاء ، وذلك بقولها : (وقد حدثت نفسي كثيرا بالانتحار)[48] ،فما كان منها إلا اللجوء للهرب

ومواجهة المجهول.

الخاتمـــــــــــــة :

مما تقدم في هذا البحث يمكن أن نوجز أبرز النتائج التي استنتجناها من خلاله فيما يأتي:

-لنظرية أفعال الكلام أهميتها في تفسير اللغة وفهمها ، وقد تبين ذلك من خلال تحليل بعضا من الأفعال الكلام التعبيرية في الرواية ، فعن طريق هذه الأفعال عُرفت الحالات النفسية التي اعترت شخوص الرواية.

-هناك صلة وثيقة بين أفعال الكلام التعبيرية ومبدأ التأدب ، فالأفعال التعبيرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالممارسات الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية.

-تبين أن لأفعال الكلام التعبيرية القدرة على الإنجاز والتأثير، عن طريق الإفصاح عن مكنونات النفس بما يجعل المتكلم يشعر بالراحة للتعبير عن لوعة نفسه أو فرحها ، وكذلك التأثير في السامع بحيث يشاركه أفراحه أو أتراحه فيخفف عنه وطأة ما يجد.

وفي الختام توصي الباحثة بدراسة أفعال الكلام التعبيرية في رواية الفضيلة دراسة معمّقة ومستفضية ، فالرواية غاصة بهذا الصّنف من الأفعال الدالة على مختلف المشاعر والانفعالات النفسية سواء الإيجابية منها أو السلبية ، ولم يتناول هذا البحث سوى جزء بسيط منها.

الهوامـــــــــــش:

(1)-ينظر الأدب العربي المعاصر في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف،ط10،ص:227ومابعدها.
(2)-المصدر السابق،ص:228ومابعدها.
(3)-ينظر نسيم الصبا، بدر الدين الحلبي، مطبعة الجوائب، 93/1.
(4)-الرواية، دار الشرق العربي،ص:22.
(5)-ينظر في المسرح العربي المعاصر، محمد مندور- مؤسسة هنداوي،2020،ص:32-33.
(6)-ينظر نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين، ترجمة : عبدالقادر قنيني، أفريقيا 11 الشرق،ص:13ومابعدها.
(7)-ينظر التداولية عند العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعةبيروت،ط1، 2005م،ص:40.
(8)-ينظر كيف ننجز الأشياء بالكلمات، جون أوستين،ص:19.
(9)-ينظر التداولية علم استعمال اللغة، محمد العبد،ص:310.
(10)-ينظر آفاق جديدة، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية،2002م،ص:46ومايليها.
(11)-السابق ،ص:74-75.
(12)- ينظر مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، سعيد بحيري،دار زهراء الشرق،ص:86ومابعدها.
(13)-ينظر نظرية الفعل الكلامي، هشام عبدالله خليفة، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1، 2007م،ص:91.
(14)-ينظر آفاق جديدة، محمود نحلة،ص:50-51.
(15)-ينظر دلالة السياق ، ردة الطلحي،ص:158،وينظر علم الدلالة ، بالمر،تر:صبري إبراهيم،دار المعرفة الجامعية،1995م،ص:74.
(16)-ينظر تحليل الخطاب،يول وبراون،تر: محمد لطفي الزليطني،منير التركي،جامعة الملك سعود،1997م،ص:35.
(17)-ينظر آفاق جديدة ، محمود نحلة،ص:50.

(18)-ينظر التداولية علم استعمال اللغة،تنسيق وتقديم حافظ إسماعيلي،2014 ،تعديل القوة الإنجازية،محمد العبد،ص:313.
(19)-السابق،ص:314ومابعدها.
(20)-ينظر آفاق جديدة، محمود نحلة،ص:50.
(21)-ينظر الخطاب النفسي في القرآن الكريم،كريم ناصح الخالدي، دار الصفاء،ط1، 2007م،ص:242.
(22)—Speech Acts,The Handicap principle and expression,Mitchell,p:146.
(23)-نقلا عن:
Positive expressive speech,Roxana,p:202
Langouge and emotion-patricia Ronan,p15-16.و
12
(24)-ينظر استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي شهري،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط2004،1م،ص:110ومابعدها، وينظر معجم إكسفورد للتداولية،يان هوانغ،تر:هشام إبراهيم،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، 2020م،ص:484-485،وينظر:
Investingating Leech ,Hamid G Jewad,Z Ghapanchi,M.Ghazanfari ,p:33-34
(25)-ينظر استراتيجيات الخطاب،عبدالهادي شهري،ص:109،وينظر اللسان والميزان، طه عبدالرحمن،المركز الثقافي العربي،ط1، 1998م،ص:240.
(26)-ينظر استراتيجيات الخطاب،عبدالهادي شهري،ص:110-111.
(27)- Positive expressive speech,Roxana,p:202
(28)-نقلا عن:
Categorizing expressive speech acts in pragmatically,p:26-27-28.
(29)-ينظر علم النفس في حياتنا اليومية، سترونجمان،تر :معتز سيد عبد الله، المركز القومي للترجمة،2015م،ص:33-34
(30)-الرواية،ص: 27.
(31)-ينظر موسوعة شرح المصطلحات النفسية،لطفي الشربني،دار النهضة العربية،ط1 ،2001،ص:349.
(32)-ينظر علم النفس في حياتنا اليومية،معتز سيد عبدالله،ص:49-50.
(33)-الرواية،ص:45.
(34)-ينظر مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري،تح: مازن مبارك،محمد علي عبدالله،ط6، 1985م،166/1.
(35)-ينظر علم النفس في حياتنا اليومية،معتز سيد،ص:54-55
(36)-ينظر موسوعة شرح المصطلحات النفسية،لطفي الشربيني،ص:145.
(37)-الرواية،ص:44.
(38)-معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، عالم الكتب،ط1، 2008م،497/1.
(39)-النحو الوافي،عباس حسن،دار المعارف،ط15، 503/3.
13
(40)-معاني النحو،فاضل السامرائي ،دار الفكر للطباعة والنشر،ط1، 2000م، 150/3.
(41)-الرواية،ص:47.
(42)-الرواية،ص:44.
(43)-معجم اللغة العربية المعاصرة،أحمد مختار عمر2130/3.
(44)-الرواية،ص:49.
(45)- ينظر موسوعة شرح المصطلحات النفسية،لطفي الشربني،ص:127.
(46)-ينظر علم النفس في حياتنا اليومية، معتز سيد،ص:45-46،وينظر علم نفس النمو، حسن مصطفى عبدالمعطي245/2.
(47)-الرواية،ص:49.
(48)-الرواية،ص:50.